فاليوم اضع نسبكم وارفع نسبي اين المتقون فينصب للقوم لواء فيتبع القوم لواءهم الى منازلهم
فيدخلون الجنة بغير حساب وقال عليه السلام راس الحكمة مخافة الله عز وجل انتهى
المقصود منه وقال في الشكر فيما نصه اعلم ان الشكر من جملة مقامات السالكين وهو ايضا
ينتظم من علم وحال وعمل فالعلم هو الاصل وهو يورث الحال والحال يورث العمل فاما العلم
فهو معرفة النعمة من المنعم والحال هو الفرح الحاصل بانعامه والعمل هو القيام بما هو مقصود
المنعم ومحبوبه ويتعلق ذلك العمل بالقلب وبالجوارح وباللسان ولا بد من مجموع ذلك
ليحصل بمجموعه الاحاطة بحقيقة الشكر فان كل ما قيل في حقيقة الشكر قاصر عن الاحاطة
بكمال معانيه فالاصل الاول العلم وهو علم بثلاثة امور بعين النعمة وبوجه كونها نعمة
في حقه وبذات المنعم ووجود صفاته التي بها يتم الانعام ويصدر الانعام منه عليه فانه لا
بد من نعمة ومنعم عليه تصل النعمة من المنعم بقصد وارادة فهذا في حق غير الله تعالى فاما
في حق الله فلا يتم الا بان يعرف ان النعم كلها من الله تعالى وهو المنعم والوسائط مسخرون
من جهته ثم قال الاصل الثاني الحال المستمدة من اصل المعرفة وهو الفرح بالمنعم
مع هيئة الخضوع والتواضع وهذا ايضا في نفسه شكر على تجرده كما ان المعرفة شكر ولكن انما يكون
شكرا اذا كان جامعا شروطه وشروطه ان يكون فرحك بالمنعم لا بالنعمة ولا بالانعام ثم
الاصل الثالث العمل بموجب الفرح الحاصل من معرفة المنعم وهذا العمل يتعلق بالقلب وباللسان
وبالجوارح اما بالقلب فقصد الخير واضماره لكافة الخلق واما باللسان فاظهار
الشكر لله تعالى بالتحميدات الدالة عليه واما بالجوارح فاستعمال نعم الله تعالى
في طاعته والتوقي من الاستعانة بها على معصيته حتى ان شكر العينين ان يستر كل عيب
يراه لمسلم وشكر الاذنين ان يستر كل عيب يسمعه فيه فيدخل هذا في جملة شكر نعمة هذه الاعضاء
والشكر باللسان لاظهار الرضى عن الله تعالى وهو مامور به انتهى واما الصبر فقال فيه ايضا
فانه عبارة عن ثبات باعث الدين في مقابلة باعث الشهوة فان ثبت حتى يقهره ويستمر على مخالفة
الشهوة فقد نصر حزب الله تعالى والتحق بالصابرين وان تخاذل وضعف حتى غلبت الشهوة
ولم يصبر على دفعها التحق باتباع الشياطين فاذا ترك الافعال المشتهيات عمل يثمره حال
يسمى الصبر وهو ثبات باعث الدين الذي هو في مقابلة باعث الشهوة وثبات باعث الدين
حال يثمرها المعرفة بعداوة الشهوة ومضادتها لاسباب السعادة في الدنيا والاخرة فاذا
قوي يقينه بكون الشهوة عدوا قاطعا لطريق الله تعالى قوي ثبات باعث الدين فاذا قوي
ثباته تمت الافعال على خلاف ما تتقاضاه الشهوة فلا يتم ترك الشهوة الا بقوة باعث الدين
المضاد لباعث الشهوة وقوة المعرفة والايمان بقبح مغبة الشهوات وسوء عاقبتها
وكونها قاطعة لطريق الله تعالى واما التوبة فقد تقدم في الكلام عليها اول
هذا الكتاب اعني كتاب التصوف حيث تعرض لها الناظم واما الزهد فقال فيه
ايضا في كتاب الفقر والزهد اعلم ان الفقر عبارة عن فقد ما يحتاج اليه اما فقد ما لا حاجة اليه فلا

الشيطان خ

يسمى

بفقدا

١٨

يسمى فقرا وان كان المحتاج اليه موجودا مقدورا عليه لم يكن المحتاج فقيرا واذا فهمت هذا لم
تشك في ان كل موجود سوى الله تعالى فهو فقير لانه محتاج الى دوام الوجود في ثاني الحال ودوام وجوده
مستفاد من فضل الله تعالى وجوده ثم قال هذا الفقر مطلقا ولكنا لسنا نقصد بيان الفقر المطلق
بل بيان الفقر من المال على الخصوص والا فقر العبد بالاضافة الى اصناف حاجاته لا تنحصر لان حاجاته لا
حصر لها ومن جملة حاجاته ما يتوصل اليه بالمال وهو الذي نريد الان بيانه فقط فنقول كل فاقد للمال
فانا نسميه فقيرا بالاضافة الى المال الذي فقده اذا كان ذلك المفقود مالا محتاجا اليه في حقه
ثم يتصور ان تكون له خمسة احوال عند الفقد ونحن نميزها ونخص كل حال باسم ليتوصل بالتمييز
الى ذكر احكامها الحالة الاولى وهي العليا ان يكون بحيث لو اتاه المال لكرهه وتاذى به وهرب من
اخذه مبغضا له ومحترزا من شره وشغله وهذه الحالة هي الزهد واسم صاحبها زاهدا ثم
قال في بيان حقيقة الزهد اعلم ان الزهد في الدنيا مقام شريف من مقامات السالكين وينتظم
هذا المقام من علم وحال وعمل كسائر المقامات اما الحال فنعني به ما يسمى زهدا وهو عبارة
عن انصراف الرغبة عن الشيء الى ما هو خير منه وكل من عدل عن شيء الى غيره بمعاوضة وبيع وغيره
فانما عدل عنه لرغبته عنه وعدل الى غيره لرغبته فيه فحاله بالاضافة الى المعدول عنه يسمى
زهدا وبالاضافة الى المعدول اليه يسمى رغبة وحبا فاذا استدعى حال الزهد مرغوبا عنه
ومرغوبا فيه هو خير من المرغوب عنه ثم قال واما العلم الذي هو المثمر لهذه الحالة فهو
العلم بكون المتروك حقيرا بالاضافة الى الماخوذ كعلم التاجر بان العوض خير من المبيع
فيرغب فيه ثم قال فيحقق هذا العلم لا يتصور ان تزول الرغبة عن المبيع وكذلك من عرف
ان ما عند الله باق وان الاخرة خير وابقى اي لذاتها خير من انفسها وابقى كما يكون الجوهر خير من الثلج
مثلا وهو ابقى كما يكون الجوهر ابقى من الثلج ولا يعسر على مالك الثلج بيعه بالجواهر
واللآلي وهذا مثال الدنيا والاخرة فالدنيا كالثلج الموضوع في الشمس لا يزال في الذوبان حتى ينقرض
والاخرة كالجواهر التي لا فناء لها فبقدر قوة اليقين والمعرفة بالتفاوت بين الدنيا والاخرة تقوى
الرغبة في البيع والمعاملة حتى ان من قوي يقينه باع نفسه وماله قال الله تعالى ان الله اشترى
من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة واما العمل الصادر من حال الزهد فهو ترك واخذ لانه
بيع ومعاملة واستبدال الذي هو ادنى بالذي هو خير فكما ان العمل الصادر من عقد البيع هو ترك
المبيع واخراجه من اليد واخذ العوض فكذلك الزهد يوجب ترك المزهود فيه بالكلية وهي
الدنيا بامرها مع اسبابها ومقدماتها وعلائقها فيخرج من القلب حبها ويدخل حب الطاعات
ويخرج من اليد والعين ما اخرجه من القلب ويوظف على اليد والعين وسائر الجوارح وظائف الطاعات
والا كان كمن سلم المبيع ولم ياخذ الثمن فاذا وجد شرط الجانبين في الاخذ والترك فليستبشر الذي
باع به واما التوكل فقال فيه انه مشتق من الوكالة يقال وكل امره الى فلان اي فوضه
اليه واعتمد عليه ويسمى الموكل اليه وكيلا ويسمى المفوض اليه متكلا عليه ومتوكلا
عليه مهما اطمانت اليه نفسه ووثق به ولم يتهمه بتقصير ولم يعتقد فيه عجزا

Copyright © King Saud University